

الخطاب النهضوي النسوي في الأدبيات الإصلاحية والاندماجية من خلال جريدتي البصائر ولفوا دي زامبل (la voix des humbeles)

Feminist renaissance discourse in reformist and integrations literature through the newspapers Al- Basa,ir and la voix des humbeles

عائدة حباطي - أستاذ محاضر أ (habbati.aida@gmail.com)	تاريخ حديث ومعاصر	جامعة الأمير عبد القادر/ قسنطينة- الجزائر
DOI :		

الإرسال: 2025/04/03 القبول: 2025/05/20 النشر: 2025/06/19

ملخص:

يعتبر الخطاب النهضوي في الجزائر من النفحات التي حملها مطلع القرن العشرين، والمساعي التي ناشدها المفكرون والنخب، لتحديث الواقع وتجديده بما يتماشى مع مقتضيات العصر، وتجاوز السكونية والتقوقع الذي فرضته القرون الأخيرة، الذي تعتبر الفترة الاستعمارية من أحلكها؛ إذ أنهكت المجتمع الجزائري وحاولت تحطيم بنيته القاعدية من خلال الأسرة والمرأة. هذه الأخيرة التي عاشت بين النقيضين؛ الدهنيات المغلقة التي حرمتها في الغالب من حقوقها، والانفتاح إلى درجة التماهي والذوبان في الغرب. لذلك فإن موضوع المرأة يعتبر من المسائل الجادة التي لفتت إليها النخب الفكرية في سياق نهضوي للرفع من شأنها، وتجاوز عتبة الجهل ومشاركتها في الحياة الثقافية والاجتماعية، وهو ما ناقشه في هذه الدراسة، التي نرنو من خلالها الوقوف على طرح النخب الجزائرية الإصلاحية والاندماجية للمسألة، وكيفية النهوض بالمرأة الجزائرية إلى مستوى قريناتها من الأوربيات في نفس وسطهن الاجتماعي، من خلال جريدتي البصائر و la Voix des humbles (لفوا دي زمبل)، وكيف ناقشت الأقاليم النسوية على قلمها المسألة.

الكلمات المفتاحية: الخطاب؛ النهضة النسوي؛ التحديث؛ البصائر؛ لفوا دي زامبل

Abstract:

The Renaissance discourse in Algeria is considered one of the inspirations of the early twentieth century, and the efforts called for by thinkers and elites to modernize and renew reality in line with the requirements of the times, and to overcome the stagnation and isolation imposed by recent centuries, the darkest of which was the colonial period; as it exhausted Algerian society and tried to destroy its basic structure through the family and women. The latter lived between two opposites; closed mentalities that mostly deprived them of their rights, and openness to the point of identification and dissolution with the West. Therefore, the issue of women

is considered one of the serious issues that intellectual elites have drawn attention to in a renaissance context to raise their status, overcome the threshold of ignorance and participate in cultural and social life, which is what we discuss in this study, through which we seek to stand on the Algerian reformist and integrationist elites' presentation of the issue, and how to raise it to the level of its European counterparts in the same social milieu, through the newspapers Al-Basaer and La Voix des Humbles), and how feminist pens, despite their small number, discussed the issue.

Keywords: the speech; Feminist Renaissance; modernization; Insights; La voix d'Humbls

مقدمة:

شغل موضوع المرأة في القرن العشرين اهتمام العلماء والنخب الفكرية؛ وأخذت منها معياريا من المعايير الحضارية التي يقاس بها انفتاح الشعوب وانغلاقها ورجعيتها، أولتها النخب الفكرية المحافظة والليبرالية الجزائرية عنايتها وأثار موضوعها سجلات عميقة في ظل واقع مترد؛ تراجعت فيه مكانتها الاجتماعية، وانفتاح العالم الإسلامي مع الصدمة الاستعمارية على متغيرات حديثة جديدة، مما أعطى للمسألة دفعا إضافيا لمناقشتها، دعى خلالها علماء الإسلام إلى إحياء حقوقها التي كفلتها الشريعة الإسلامية، وتجاوز الليبراليون المطالبة بالحقوق إلى الدعوة لتحررها وانفتاحها على الغرب ومحاكاة واقع الأوربيات. مما شكل خطابا نهضويا يتقارب ويتباعد في تفاصيل وآليات النهوض وإحياء قيمتها في المجتمع ومخرجاته الاجتماعية والدينية والثقافية. عكست الصفة التصادمية بين النخبتين بلغت في بعض مراحلها درجة الانفصال والقطيعة. وعليه جاء موضوع هذه الورقة البحثية التي نسعى من خلال منهج مقارن مناقشة صورة المرأة العصرية في أدبيات النخب الجزائرية على اختلاف مشاربها. نتساءل فيما عن القيم المعيارية التي حددت فكر النخب الإصلاحية والاندماجية في نظرتها للمرأة؟ ومدى استجابة المرأة الجزائرية لهذا الخطاب؟ والمقاربات الموجودة بين الخطابين؟

1- المرأة في الكتابات النخبوية مطلع القرن 20:

عاشت المرأة في الجزائر معاناة مضاعفة؛ فمن جهة العادات والتقاليد التي حرمتها من بعض حقوقها، وإن كانت هذه الأخيرة قد حافظت على حشمتها وصانها، ووضعية استعمارية أفقدتها كل مكتسباتها وحقوقها التي كانت قد حفظت للمرأة مكانتها الاجتماعية وصانها بالنصوص القرآنية والسنة المحمدية. فقد عرفت المرأة في الجزائر على غرار العالم

العربي والإسلامي، وضعا صعبا لم يخلقه الغرب في حد ذاته، وإنما توارثته عن جمود العهود الأخيرة، وإن كان الاستعمار قد عمّقه لاحقا؛ فقد عاشت أجواء خانقة سُلّطت عليها عادات وتقاليد لا تمت بصلة للدين، فكان البيت سجنا لها لا تغادره إلا محملة على الأكتاف. وذكرها في المجامع يكون مصحوبا بعبارات عنصرية، كقول أحدهم "حاشاكم" (أكرمكم الله) عند ذكرها. ومنعت من مواصلة تعليمها وحرمت من الإرث؛ خاصة إذا كان عقارا أو أراضيا في بعض القبائل (بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، 1948، صفحة 181) تُزوج في سن مبكر، لا يزيد في بعض الأحيان عن التاسعة أو العاشرة، خاصة في بلاد القبائل، وإذا تزوج غيرها وطلقها تبقى تحت رحمته. وهي من أغرب العادات التي لم يشرع لها دين ولا قانون مدني. (المدني، 1963، صفحة 100)

سعت بدورها فرنسا في مخططاتها الاستعمارية إيجاد صورة مغايرة للمجتمع الجزائري بتحطيم بنيته، في تعمد تجهيل المرأة، وربطها بالخرافات والبدع، وخلع حجابها، وطالها ما طال الجزائريون من تقتيل وتعنيف، وانتهاك عرضها. واضطرت بسبب الفاقة إلى العمل في بيوت المستوطنين مقابل أجر بخس، وتسمى في الغالب عندهم بتسميات عنصرية "فاطمة وعائشة"، حتى ولو كانت ليست تسميتها الأصلية.

لتجاوز هذا المشهد القاتم في حياة المرأة، حاولت النخب الفكرية الجزائرية إحياء حقوقها المشروعة، وبعث دورها من جديد في المجتمع، فكتب "محمد بن مصطفى خوجة" عن حقوقها وواجباتها في كتابه "الاكتراث بحقوق الإناث" (1895)، (خوجة، 2012، الصفحات 13-85)، وبدوره اعتبر "عمر بن قدور" (1886-1932) جهل المرأة أعظم مصائبها؛ إذ يجرها إلى الانسياق وراء الخرافة وطلب العون من الأولياء الصالحين، وهو ما تنقله آليا إلى صغارها (ناصر، 1978، الصفحات 81-80). وعواقب ذلك على النشء الذي يتربى مشوة العقيدة بعيدا عن العلم. بدوره ربط "إسماعيل حامت" (1857-1932) معاناة المرأة في الجزائر والعالم الإسلامي بالوصاية الذكورية التي تحاصرها في مصادرها المالية، وتجعلها دائمة الاعتماد على الغير. وحصر تحسين حالها في التعليم والاحتكاك والتفاعل مع الثقافة الفرنسية، والمشاركة في الحياة الأوروبية (Hamet, 1906, pp. 254-253). بينما جعل معاصره "شريف قاضي" في كتابه "أرض الإسلام"

تطورها مرهونا بتقدم الرجل؛ فقبل الاهتمام بتعليم المرأة يجب إصلاح الذهنيات العالقة في فكر الرجل وتعليمه أو تدريبه على المهن والحرف، التي تنعكس بالإيجاب على الحياة المرأة. طالب نفس الكاتب فرنسا بأن تكون متفهمة للمسلم في معتقداته الإسلامية، كما تقبلها سلفها من الرومان. هذا التفهم الذي من شأنه أن يحدث تقاربا بين المجتمعين، بما في ذلك التقارب بين النساء المسلمات والأوربيات. واستدر ك بالقول بأن "الحركة التطورية في الذهنيات عملية شاقة وطويلة الأمد". طرح شريف قاضي مسألة الحجاب ووضعه في مرتبة العادات التي يمكن الاستغناء عنها، وجعل ارتداء الجزائريات له لشعورهن بعدم الأمان الذي عاشته المرأة المسلمة في مراحل معينة، وأن العقيدة الإسلامية لم تفرض زيا بعينه على جميع المسلمين، وإنما يتحكم المناخ فيه بين المناطق الحارة والباردة (cadi, 1926, pp. 139-18).

يبدو أن طرح النخب الجزائرية كان متناسقا تماما مع الطرح العربي، الذي ناقش مسألة تحرير المرأة من القيود التي رسمها الجمود الفكري وانتصاب الاستعمار على جل البلاد العربية، كمحطة مفصلية عطلت النسق الإصلاحي وتجارب النهضة. أجمعت فيها الدعوات على ضرورة تعليمها وانفتاحها على العالم الخارجي، وإن اعتبرت حينها جريئة في طرحها، ثائرة على تراثها؛ كالشيخ "رفاعة رافع الطهطاوي" في كتابه، "المرشد الأمين في تربية البنات والبنين" (1834)، و"تخليص الإبريز في تلخيص باريز" (1870)، الذي دعا فيها لمواجهة الخطاب التقليدي السائد حول المرأة وتقليص دورها في المجتمع على كونها وعاء للنسل وكفى. (رفاعة الطهطاوي، 1973، ص210). وفي نفس سياق كتب "قاسم أمين" كتابه "تحرير المرأة"، "المرأة الجديدة" كدعوة لتحرير المرأة من سطوة العادات والتقاليد البالية.

2- النهضة النسوية في الخطاب الليبرالي من خلال لفا دي زامبل (La Voix des humbeles):

أخذت مسألة المرأة ومشاركتها في الحياة العامة حيزا كبيرا من مناقشات النخب الجزائرية، بأن عرفت بمواضع العلة، مع تباين العلاج. ومن جهتهم حاول الاندماجيون تشريح وضعها وواقعها والوقوف على أسباب تخلفها مقارنة بقريناتهما من الفرنسيات والأوربيات. وتقديم برامج ترتقي بمستواها الحضاري. فكان التعليم والحجاب في نسق تحررها من كل القيود التي تعيق محركاتها للمفتحات من الأوربيات والتركيات من أهم

المواضيع التي طرقتها النخبة الليبرالية. بدورها ربطت هذه الأخيرة وضع المرأة بالجهل المتفشى بين النساء، اللواتي منعن من التعليم، وإن كان المنع لا يقتصر عليهن فقط. فاهتم النواب في برامجهم ومطالبهم بتعليم المرأة، لكن بشيء من الاعتدال مقارنة مع غيرهم من المعلمين الأهالي، خاصة فيما يتعلق بالمعتقد الديني؛ حيث أقر "فرحات عباس" ضرورة تعليم المرأة لتمكينها من القيام بالأدوار المنوطة بها، ومن الأولويات التي يجب أن تعني بها فرنسا، بتوفير المدارس لكل الفئات التعليمية (عباس، 2007، صفحة 137). وكان في تأسيس فدرالية النواب للاتحاد الفرنسي الإسلامي لنساء الجزائر (أفريل 1937) التي شاركت الجزائريات اللواتي بلغ عددهن (18) عضوة في نشاطاته الاجتماعية والثقافية، مظهرا من هذه العناية.

أ- لفوا دي زامبل (La Voix des humbles):

تعتبر لفوا دي زامبل التي تم تعريب اسمها في أدبيات الحركة الوطنية بصوت المستضعفين وصوت الضعفاء والبسطاء (حباطي، 2022، صفحة 81) لسان حال جمعية المعلمين من أصل أهلي، وهي من منابر الإعلامية الصادرة باللغة الفرنسية (13-14 أفريل 1922). عبرت عن فئة نخبوية من المعلمين الجزائريين. وكان للمدرسة الفرنسية أثر في بلورت أفكار نخبتها وبرامجها. تبنت الجريدة طيلة ظهورها حتى 1939 عنوانا فرعيا "من أجل تطور الأهالي عن طريق الثقافة الفرنسية" (pour l'évolution des indigènes par la culture française)، وشعارا بعيدا عن الأحزاب، بعيدا عن العقائد. فكانت جريدة تربية اجتماعية في اتجاهها. تولى إدارتها مجموعة من الشخصيات؛ "سعيد الفاسي"، "رابح زناتي"، "عمر قندوز"، "العربي طاهرات"، و"سعيد لشاني" و"بن حاج أو لحاج". (حباطي، 2022، الصفحات 82-83). وقد أثبتت الجريدة حضورها في مناقشة القضايا الاجتماعية؛ كمسألة المرأة التي أخذت حيزا من اهتمامها، كما حرصت الجريدة على إشراك أعلام النسوية من الملمات الجزائريات والأوربيات.

ب- حضور المرأة في جريدة لفوا دي زامبل (La Voix des humbles) :

كان تقارب الأجناس والطوائف وانصهارها في بوتقة واحدة من بين الأفكار القارة التي آمن بها المعلمون من أصل أهلي، واعتبرت المدرسة النواة الأولى في هذا التقارب، وهو ما

نوه إليه المعلم "جباري" في كلمته المطولة التي نشرتها المجلة تحت عنوان: "الأسرة والمدرسة" (La Famille et l'école) أثناء افتتاح مدرسة للبنات (1936) في أحد أحياء سيدي مبروك الأعلى بقسنطينة؛ بأن أعتبر المدرسة جهازا لبناء شخصية البنات وصناعة جيل المستقبل؛ لأن العلم يغذي روحهن، ويوجههن عن طريق العقل نحو اكتشاف الحق والجمال والخير، وعلى مقاعد المدرسة الابتدائية تتوطد أواصر الأخوة والزمانة، فتكون النموذج الذي يحتذي به المجتمع، وتنصهر فيه كل الطوائف تحت مسمى العرق الفرنسي. (humbles, 1936, pp. 17-13) كما نشرت المجلة مقالا لإحدى الكاتبات رمزت لنفسها "الآنسة.S"، وصفت فيه حال المرأة فقالت: "المرأة الجزائرية (الأهلية) تعيش التخلف والتعاسة والانغلاق، وكل ما يحيط بها في حالة تقدم، بينما تحتفظ هي في ذهنها بالعادات والتقاليد البالية. وأن تعليم الصبيان دون الإناث يعود أثره بالاضطرابات والاختلالات على حياتها الأسرية، هذا الاختلال الذي يشجع الشباب على العزوف عن الزواج من وسطهم من جهة، والاصطدام بأفكار بيئتهم الاجتماعية" (humbles l. v., 1935, p. 216)

أوعزت الآنسة جباري معلمة في مدارس الفرنسية في سطيف، وهي بنت معلم أهلي وأحد المحررات في (la Voix des humbles) جهل المرأة إلى عدم عناية الإدارة الاستعمارية، والوضع الاجتماعي للمتعلمات: "ركزت الإدارة الاستعمارية جهودها الأولى على تعليم الذكور الذي تطور، وأهملت بالمقابل رعاية البنات لأكثر من أربعين سنة.....تعزف النخبة المثقفة المستنيرة من الجزائريين التي مرت على المدرسة الفرنسية الاقتتان بفتاة غير متعلمة، لسبب جوهري هو جهلها بتأسيس أسرة بمستقبل أفضل لأولادها". وفي نفس السياق حاولت الآنسة "جباري" بلورت مشروعا للنهوض بالمرأة الجزائرية برؤية منفتحة على فرنسا؛ دعت فيه الإدارة الفرنسية إنشاء مدارس للإناث في المدن والقرى جنبا إلى جنب مع الذكور، واللواتي سيرتفع أعدادهن بعد أن يلاحظ الأولياء تغيرات سلوكية عليهن، ونضج فكري في تكييف تعليمهن مع أعرافهن وعاداتهن الأسرية، ويلمسون -الأولياء- تحولات في النظافة والانضباط في التنظيم والتسيير الاقتصادي، الأمر الذي يجعل التلميذات المسلمات يتجاوزن صعوبة انقطاعهن عن المدرسة بعد حصولهن على الشهادة

الابتدائية في سن (12 و13) ويواصلن تعليمهن في المراحل الموالية (humbles I. V., 1937, p. 30). وبذلك إخراج المرأة من الجهل والأمية مرتبط حسب هذا مشروع بما تقدمه فرنسا من خدمات تعليمية وحضارية للثققة في رسالتها الحضارية وبالمقابل الترفع على الأعراف البالية.

ناقشت الجريدة مسألة الحجاب وزي المرأة، بأن كلفته مع العصرية، وهي المناقشة التي اصطدمت فيها مع طرح النخب العربية المحافظة الذي اعتبرته سفورا. حيث نشرت صوت المستضعفين سلسلة من المقالات الأدبية والروايات (humbles I., 1936)، (humbles I. V., 1936) في شكل رسالة مبطنة إلى مليكة لتحفظ بحجابها (lettre a Malika pour quelle garde son voile) وجهتها الأدبية الفرنسية "جيان فور صارديت" (Jeanne Faure-sardet) لإحدى الجزائريات التي كانت من تلاميذ المدرسة الفرنسية، التي بلغت السن الذي تضع فيه حجابها، الذي في رأيها سيحجبها عن الحداثة، ودعتها لأن تتحدى كل ما يحجبها ويعزلها عن مسامرة الواقع والعصر، فلا الحجاب ولا النقاب (وهو ما تنسهر به المرأة على وجهها المسعى العجاء) يحجبان عقلها عن التقدم والنهوض، لكنه يثير الفتنة ورغبة الرجال في كشف ما ستر تحته (humbles I. V., 1936, pp. 5-6)، كما أثارت نفس الكاتبة، التقارب بين المجتمعين المسلم والأوروبي من خلال نماذج قصصية لعلاقات تربط الجنسين كمراد وجوليا، لتأكيد إمكانية انصهار العناصر السكانية.

هو نفس الطرح الذي روجت له النخب الاندماجية في نفس الفترة؛ كالتونسي "الطاهر الحداد" الذي شبه نقاب المرأة بكمامة الكلاب (الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، 2010، الصفحات 209-210) وقد أثار الكتاب بمحتواه التحرري ضجة فكرية. وهي أفكار خطيرة روجت لها المجلة عبر صفحاتها في مجتمع محافظ كانت تمثل النخبة الاندماجية فيه القلة القليلة.

في موضوع ذا صلة بالمرأة والمجتمع، تناولت النخبة المفرنسة مسألة تعدد الزوجات (polygamie) التي شرعتها النصوص القرآنية، وحددت ضوابطها وأهدافها الأخلاقية والاجتماعية.. واعتبرتها النخبة المفرنسة حاجزا أمام اندماجهن في العائلة الفرنسية مما شكل حائلا دون تحقيق النهضة الاجتماعية والارتقاء القانوني والتمتع بالحقوق السياسية

والممارسة المدنية، وهو ما نوه إليه "قدور مكاسي" في ربطه بين تعدد الزوجات وحق الانتخاب، والتأكيد على تراجع الظاهرة –التعدد-؛ حيث بلغ حسب نفس الجريدة عدد الرجال المعددين في الجزائر سنة 1891 (140000) لتتخفّف سنة 1911 (55427) وانخفضت إلى (2830) سنة 1915 (humbles I. V., 1936, pp. 6-7) وفي نفس السياق نشرت الجريدة مقارنة التعدد بين الشريعتين الإسلامية وشريعة اليهود (الموسوية)، وكيف تقوم الإدارة بتمطيط القوانين، بما يتناسب مع سياستها الاستعمارية. (humbles I. V., 1935, pp. 173-172)

يبدو أن الطرح النهضوي النسوي الذي قدمته المجلة كان من ضمن محاولات النخبة المفرنسة إحداثها في الأحوال الشخصية، بإفراغ الفرد من انتماءاته الحضارية عند طلب الجنسية الفرنسية، بهدف خلق فرد جديد يتلاءم مع المدنية الغربية، متخلياً عن قيمه ومورثه الحضاري. ومن هذا المنطلق فلا غرابة أن تدعوا هذه النخبة المرأة الجزائرية لمحاكاة الأوربيات والتركيات، وأخذهن نموذجاً للتحرر من قيود الدين والأعراف، خاصة بعد التحولات الجذرية التي أقدم عليها أتاتورك في الجمهورية التركية الكمالية، وكانت النساء من أهم العناصر في التركيبة الاجتماعية التي ظهرت علمهن هذه التغيرات في سفورهن وقصات شعورهن ولباسهن والتدخين، وما كانت تنحو باتجاهه التونسيات، وهو ما ألهم النخبة الاندماجية في الجزائر لخلق صورة لهذا التحرر على مستوى النساء الجزائريات. (humbles I. V., 1936, p. 19) ويعتبر رابع زناتي من أشد المعجبين بتركيا الكمالية؛ حيث وصف ما بلغت إليه بالمرونة في التعامل مع متغيرات العصر. واعتبر أن الاعتماد على القانون السويسري تحديثاً للإسلام. وعبر عن انبهاره بالتحرر ورغبته في نقل تجربتها إلى الجزائر، خاصة ما يتعلق بالمساواة بين المرأة والرجل ومنع تعدد الزوجات، والطلاق بيد الزوجين (humbles I. V., 1928)

لم يقتصر المعلمون في المجلة على الدعوة إلى التحرر من قيود المجتمع، بل تجاوزوها إلى الترغيب في الزواج المختلط (humbles I. V., 1928)

(1929) واعتبر التحديث التركي؛ كمتنرد على العروبة والإسلام والأعراف المتوارثة نموذجاً يحتذى به، الأمر الذي أحدث تنافراً بينهم وبين النخبة التقليدية المحلية.

حاولت النخبة المفرنسة أن تجاري الحركة النسوية في العالم بحضورها في المناقشات والمؤتمرات التي تناولت المرأة؛ كالمؤتمر الدولي النسوي للنساء المتوسطيات المنعقد في قسنطينة (29 - 31 مارس 1932) ، ومثّل المعلمين فيه "حامد لرقش" الذي أرسل بمذكرة حول واقع المرأة في الجزائر (مراد، 2007، الصفحات 402-403) إلى جانب مشاركة ثلة من هذه النخبة في مؤتمر حقوق الإنسان (25-26 أفريل 1930) (علي، 2014، صفحة 130) أين طرحوا انشغالاتهم التي كانت المرأة إحداها.

كان الخطاب النسوي النهضوي الصادر عن المعلمين والمعلمات، كفتة نخبوية ضمن طرح المتعارف عليه لدى بقية النخب الجزائرية؛ فإن تطابق مع الخطاب الإصلاحى من حيث التحرر من الجهل، بيد أنه لم يتمكن هو نفسه التحرر من تقليد الحضارة الغربية، وجعل نهضة المرأة في صورة نمطية هجينة بفكر علماني وتطبيقه على مجتمع محافظ، جعل منه مشروعاً خيالياً بعيد عن الواقع .

ج- انعكاسات الخطاب الاندماجي على الحياة الاجتماعية للمرأة:

رسمت النخبة الاندماجية صورة مثالية عن المرأة العصرية، استلهمت من الفكر التحرري الثائر على القيود الدينية والأعراف والتقاليد؛ حيث استوردت أفكاراً غربية عن المجتمع في صياغة مشروع يتيح للمرأة الجزائرية أن تتحمل أعباء مسؤولياتها بعيداً عن وصاية الرجل، وتكون عنصراً بناءً في المجتمع ، لذلك نتساءل ما مدى تفاعل المرأة الجزائرية مع هذا الخطاب؟ وهل كان صوته قوياً عبر منابرهم المختلفة، كمجلة صوت المستضعفين، بحيث أثر على المرأة المسلمة في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر في ظل وضعية استعمارية أم فشل في استقطابها لذلك؟

إن تقييم مشروع فكري، نادى به النخبة، وإسقاطه على واقع المجتمع، بما في ذلك المرأة، لن يكون دقيقاً إلا إذا قارناه بالإحصاءات التي تجعل قراءتنا للمسألة تتسم

بالموضوعية التاريخية.

أقبل عدد من المعلمين من النخبة الفرنسية على التجنس بالجنسية الفرنسية، ودعوا في أدبياتهم المجتمع بكل شرائحه إلى الإقدام على طلب المواطنة الفرنسية بما في ذلك النساء. لكن جاءت دعواتهم بالفشل؛ فكان من المشاريع التي لم تتمكن من جذب كل الجزائريين؛ إذ لم يتجنس إلا (2131) وفق قانون الإصلاحات 1919، من إجمالي عدد السكان (6.201.144)؛ أي بنسبة 0.034% ومن مجموع (576) متجنس من الذكور حسب قانون السيناتيس كونسلت sénatus consulte (1865)، في الفترة الممتدة ما بين (1919-1939)، حصلت (61) مسلمة على الجنسية الفرنسية؛ بنسبة 10.59% مقارنة بمجموع مكتسبها، وكان أغلبهن متزوجات، بلغ عددهن (36) حالة حصلن على الجنسية تبعا لحالة أزواجهن المتجنسين في الفترة الممتدة ما بين (1919-1927)، إلا أن الفترة الباقية (1928-1930) انعدمت طالبات الجنسية في صنف المتزوجات، وارتفعت بالمقابل عدد العازبات التي بلغ عددهن (24) في الفترة الممتدة ما بين (1928-1939). مع شبه انعدام في إقدام الأرامل على طلب الجنسية الفرنسية (Générale, 1919-1939). وبذلك لم يشكل التجنس خطورة على بنية المجتمع لقلة أعداد المتجنسات، الذي يعود في أساسه لتأثيرات أسرية، ونتاج للمدرسة الفرنسية.

لم تتمكن المدرسة الفرنسية على صعيد آخر، تلبية حاجة البنات المسلمات للتعليم، ولم تنفع دعوات النخبة الفرنسية في كسر عزوف الأولياء عن إرسال بناتهم إلى المدارس الفرنسية، الذين لازالت بالنسبة إليهم صورة المدرسة التبشيرية عالقة في أذهانهم، كما أنهم لم يتجاوزوا عاداتهم وأعرافهم، فكانت أغلبهن تتوقف في المرحلة الابتدائية. وفضلوا عليها المدارس التعليم العربي الحر، أو الإقدام على تزوجهن في وقت مبكر. وقد بينت الإحصاءات الفرنسية قلة المتدربين من الجزائريين في المرحلة الثانوية مقارنة بالعدد الإجمالي للتلاميذ في نفس الطور التعليمي ذكورا وإناثا؛ حيث بلغ التعداد الإجمالي للمتمدسين سنة 1934 (8410) من الذكور و (3900) من الإناث، واقتصر الأمر بالنسبة للجزائريين على (850) من الذكور و (95) من البنات. (humbles l. V., 1936, p. 308) من خلال ما سبق ذكره، يظهر جليا الفرق الشاسع بين عدد البنات في المرحلة الثانوية بين (الأهالي) الذكور والإناث، وبينهن وبين العدد الإجمالي للتلاميذ المتدربين في

الجزائر، أين سجلت البنات نسبة 1/40 % من مجموع المسجلين، وسجلت نفس السنة نسبة 1/10 % من الذكور. وقد تقلص عدد الإناث المسلمات بشكل كبير عن المرحلة السابقة من التعليم الابتدائي، إذ بلغ تعدادهن في (1933) 9561 تلميذة مقابل 69515 من الذكور، وبلغت التلميذات الأوروبيات 59254 التلميذة. (genéral, 1933, p. 100) وهي أرقام تعكس حقيقة الوضع التعليمي للإناث في الجزائر.

على صعيد آخر؛ فإن تأثير الأوروبيات كان ضئيلا، رغم قرب الاحتكاك من الجزائريات في التعليم والتدريب على الحرف، وفي المحيط الاجتماعي كخدمات في بيوتهن، وأدبياتهن المنشورة في الصحف الاندماجية، كصوت المستضعفين وصوت الأهالي...؛ حيث ظلت الحواجز بين الطرفين قائمة، وحافظت المرأة الجزائرية في عمومها على أعرافها وعاداتها، ولم يتعد انعكاس المتغيرات التي جاءت نتيجة الاحتكاك المباشر وغير المباشر على النخبة المفرنسة في المدن خاصة. فقلدن الأوروبيات في تأسيس الاتحادات النسوية والجمعيات الثقافية والاجتماعية كما سبق الإشارة. لكن مع ذلك لم تظهر التأثيرات الغربية بشكل واضح على نساء المجتمع الجزائري إلا بعد الاستقلال. وفي سياق تقارب المجتمعات، أقدم عدد من النخبة المفرنسة المتعلمة على الزواج من الأوروبيات، كمظهر من مظاهر انفتاحهم على الغرب، إلا أن زواج المسلمات بالأوروبيين كان نادر الوقوع، فحتى المتعلّمات منهن يابن الزواج من الأربيين المسيحيين، وعزفن أيضا عن الزواج من المسلمين الجزائريين غير متعلمين، وفضلن البقاء عانسات (cadi, 1926, p. 134)

3- المرأة في أدبيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

أخذت القضايا الاجتماعية نصيبها من انشغالات الحركة الإصلاحية، التي مثلتها منذ العقد الثالث من القرن العشرين جمعية العلماء المسلمين بأبعادها التهذيبية والأخلاقية، كالطفولة والشباب و المرأة ومحاربة الجهل والريذيلة، وتطور المجتمع والنهوض به من الخرافة والأمية وتطويره، تحضيراً له لمواجهة أخطار الاستعمار والحداثة الغربية. فاهتمت لشأن المرأة في تعليمها وعملها ولباسها.

لم تختلف جمعية العلماء عن جمعية المعلمين الأهلي من حيث تقارب ظهورهما، وجهرهما بابتعادهم عن السياسة والخوض فيها، إلا أنهما شكلا خطان متوازيان لا يتلقيان في الطرح الفكري.

أ- جريدة البصائر:

كان ظهور البصائر (27 ديسمبر 1935) حدثا بارزا، والأطول عمرا مقارنة مع منابر الجمعية ولسان حالها (السنة، الشريعة الصراط)، تولى رئاستها "الطيب العقبي"، مبارك الميلي (الإبراهيمي، 1997، صفحة 167).

تبنت الجريدة منهجا إصلاحيا صرحت به في آية ﴿هذا بصائر من ربكم وهدي ورحمة لقوم يومنون﴾ وبأهدافها الإعلامية ووسيلة إصلاحية ودفاعية سخرتها الجمعية إلى غاية 6 أفريل 1956.

أخذت المواضيع الاجتماعية حيزا كبيرا من أعداد جريدة البصائر، التي عرفت انقطاعا في الظهور أثناء الحرب العالمية الثانية، فجاءت انطلاقا من ذلك تسمية البصائر الأولى والثانية. وإن لم تخلوا البصائر الأولى في جل أعدادها عن المعالجة الاجتماعية بما في ذلك المرأة، إلا أن ظهورها في مرحلتها الثانية كان مصحوبا بظهور أقلام نسوية ساهمت في النقاشات الفكرية والأدبية.

ب- مفهوم النهضة النسوية في الخطاب الإصلاحي:

أولت جمعية العلماء المسلمين اهتمامها مبكرا بالمرأة في كتابات ودروس علمائها؛ ونال التعليم العناية الأوفر من هذا الاهتمام، ففي عهد رئيسها "عبد الحميد بن باديس" أسس أقساما لتدريس البنات بجمعية التربية والتعليم الإسلامية في مدينة قسنطينة، وعممت العملية لاحقا في كل التراب الجزائري؛ بما في ذلك دار الحديث في تلمسان (1937)، وخصصت أجنحة لهن في المساجد لسماع الدروس، إلى جانب دعواتها المتكررة من أجل تحفيز العامة على تعليم بناتهم وثقافتهم عبر منابرها؛ كالشهاب والمنتقد والبصائر. بادر "ابن باديس" بدوره بإرسال بعثات طلابية، كانت التلميذات المتفوقات من ضمنها لموصلة تعليمهن، وإن أخفقت المحاولة انتقل عشرين منهن إلى دوحة الأدب في دمشق، بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية (أكتوبر 1939) شهرا قبل مغادرتهم (بوعزيز، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، 2001، الصفحات 26-29). فكسر بذلك العلماء حاجز السكون

والتخلف، بأن أصبحت بعضا من تلميذات الجمعية يتصدرن الحركة النسوية الإصلاحية، وفيهن من أصبحن من محرري مقالات صحفها، وبعضهن الآخر معلمات وممرضات.

تتبع الجمعية عبر منابرها مسألة المرأة وأولتها اهتماما خاصا، فكانت مقالاتها وقصائد شعرائها والقصص القصيرة غنية في طرح المسألة. لم يختلف الطرح النهضوي النسوي بين رجال الجمعية ونسائها، أين أجمع العلماء أن قوامها التعليم وانفتاح الفتاة على العالم الخارجي، دون التخلي عن سترها وحشمتها. فالتعليم كما وصفه "علال الفاسي" بأنه مظهر من مظاهر الحرية الاجتماعية، فلكل فرد له الأحقية في التحرر من الجهل (الفاسي، د.ت، صفحة 26).

اعتبر العلماء التعليم قاعدة لبناء صرح مجتمع متكافئ بجميع فئاته وعناصره. وعد "عبد الحميد بن باديس" تعليم المرأة واجبا يحفظ المستقبل، بتكوين الرجال والنساء، ويقوي جزائريتها وقوميتها، لكن قبل ذلك ضرورة تحضير محيطها وكسر الجهل عن أبيها وأخوها وزوجها، لتكون بيئتها صحية سليمة دافعة لا محبطة، وكان في إنشاء جمعية التربية والتعليم (1931)، وانتقال الجمعية من التنظير للممارسة، إذ فتحت أمام الفتيات الجزائريات مجالا للتعليم بالمجان (عمامرة، 2013، صفحة 181)؛ لأن الأسرة تحتاج إلى أم متعلمة، والمجتمع بحاجة إلى امرأة تقوم بالأدوار التي لا يحسن الرجل القيام بها؛ كتدريس البنات والتمريض. (البصائر، 1949، صفحة 34)، وبدوره رأى "الإبراهيمي" أن الأمة التي تقتصر في التعليم على ذكورها دون إناثها، كالطائر الذي يطير بجناح واحد (الإبراهيمي، 1997، صفحة 170).

اختلف علماء الإصلاح فيما بينهم، حول الدعوة لتعليم المرأة وحدود انفتاحها على التعليم الأجنبي؛ فتمسك "بن باديس" بأن يكون تعليم البنت وفق ما يحفظ لها عقيدتها وحشمتها (الشهاب، 1929، صفحة 14)، فيما نوهت أخرى بأهمية انفتاحها على اللغة الفرنسية، لتصل إلى المراتب العليا من حملة البكالوريا والشهادات الأعلى، وهو ما ذهب إليه "الأمين العمودي"؛ المعروف بالمزاوجة بين اللغتين وتشبعه بالروح الإصلاحية، مؤسس جريدة الدفاع (La défense) باللغة الفرنسية. (الإصلاح، 1929، صفحة 1).

يمثل لباس المرأة بالنسبة للعلماء الهوية والانتماء، إذ ركزوا في خطبهم المسجدية وصحافتهم على ضرورة التمسك بحجابها، واستنكروا السفور وتقليد الأروبيات (البصائر، البصائر، 1954، صفحة 86) حرص العلماء على تتبع تطور المسألة النسوية، والكاتبات التي ناقشتها عربيا، ككتاب التونسي "الطاهر الحداد" (1898-1935) "امراتنا في الشريعة والمجتمع"، الذي لقي سخطا كبيرا في أوساط التونسيين على رأسها جامع الزيتونة؛ لمضمونه الداعي إلى ضرورة التوفيق بين أحكام الشريعة الإسلامية وتطور المجتمع، فانتقد فيه نظام تعدد الزوجات، وعدم المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث، وطالب بإعادة النظر في وضعية المرأة والرفع من شأنها. (القصاب، 1986، صفحة 79) وإن كَفَّر صاحبه، إلا أنه كان المعتمد في سن قانون الأحوال الشخصية في تونس (1956). وقد امتد هذا الاستنكار لمصلحي الجزائر، واعتُبر صاحبه كافرا وملحدا؛ فانتقده أبو اليقظان في مجلة "المغرب" في عددها (25) بعنوان لاذع: "قنبلة الإلحاد في تونس" (ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها وأعلامها من 1903 إلى 1931، 1978، صفحة 246). (النجاح، 1930) وهو الموقف الذي أفصح عنه "عبد الحميد بن باديس" في "الشهاب"، عندما صرح بأنه سلك - الطاهر الحداد- فيه مسلك الجاحدين، بأن أنكر بعض ما في القرآن من أحكام، كان الحكم فيها قطعي وصريح (الشهاب، الشهاب، 1930، صفحة 714).

ج- الكتابات النسوية الإصلاحية :

مثلت الثلاثينات مرحلة اليقينيّات، على مستوى النخب الجزائرية، اتضحت فيها صورة الإيديولوجيات الفكرية على اختلافها، كما شهدت اصطدامات ومعارك قلمية، اشتد فيها السجال بين النخبتين الإصلاحية والاندماجية، فوجد العلماء أنفسهم أمام مواجهات محلية وأخرى دخيلة؛ فإلى جانب الاستعمار ومشاريعه الاستلابية وسكونية الطرق الصوفية، واجهوا الخطاب الاندماجي من بني جلدتهم، الذي بلغ حد الذوبان التام عند بعضهم.

أمام هذه الجبهات المفتوحة، وضع العلماء الفتاة الجزائرية ضمن مشروع النهوض بالأمة، عن طريق تحضير الأنفس. هذا المشروع الحضاري الذي بدأت تقطف ثماره مدارسها الحرة، وجمعية التربية والتعليم. بظهور أسماء نسوية في الحركة الإصلاحية على

قلة عددهن، خضن غمار التعليم¹ والتمريض والكتابة؛ فكانت منهن "مليكة بن عامر"، و"ليلي بن ذياب"، "خديجة بوكثرة"، "باية خليفة"، و"لويزة قلال"، و"ليلي بوعلي"، "زهور لونيسي". ساهمت هذه الأسماء في إثراء صفحات البصائر في الأدب النثري، وأعمدة فكرية كان عمادها كيفية النهوض بالمرأة المسلمة. وعلى قلة الأسماء النسوية، إذا ما قارناها مع كتابات المصلحين الذين تناولوا موضوع المرأة. لكن من جهة أخرى فإن البصائر الثانية (1947-1956) كانت أكثر حظا في الكتابات النسوية، واکبت فيها الحركة النسوية المحلية والعربية، التي عرفت بعد الحرب العالمية الثانية نشاطات وفعليات جموعية واجتماعية وثقافية. لكن إذا قارنا بين الجريدتين محل الدراسة من حيث الكم في الكتابة النسوية؛ فإن لفوا دي زامبل (1922-1939)، التي توقفت مع الحرب العالمية الثانية، كان عدد الكتابات فيها ضئيلا مقارنة مع البصائر.

ارتكزت الكتابة النهضوية النسوية في الخطاب الإصلاحي على التعليم، لإخراج المجتمع الجزائري من الجهل والخرافة، كما رسمت لنهضتها معالم أخرى لا تخرج عن التمسك بالدين الإسلامي والضوابط الأخلاقية في نظرتها للمساواة والعمل المرأة ولباسها. فكان غياب الفتاة الجزائرية في الصحافة وتخليد اسمها وآثارها وأعمالها، من المسائل التي أثارتها البصائر. وتم تأويل ذلك بأنها أهملت فأهملت؛ أهملت تطوير ذاتها، واكتفت بإتقانها للقراءة والكتابة، وأوقفت مصيرها على ذلك. وأهمل محيطها الموجه دفعها إلى بلوغ أهدافها وطموحها. فكان مصيرها العودة مجددا إلى التقوقع على نفسها بين جدران البيت (البصائر، البصائر، 1954، صفحة 51).

ربطت "زهور ونيسي" بين تعليم المرأة والمسؤولية الملقاة على عاتقها، والموازاة في ذلك بين العلم والعمل، فالمرأة هي الملاذ الوحيد حسب نفس الكاتبة للنهوض بالأمة، فلا معنى

¹ من المعلمات في المدرسة التريبة والتعليم على مستوى قسنطينة حورية عربية، عقيلة كحلوش، نعناعة ونيسي، ومن وهران فاطمة طياب، أمينة زعنان، حرية خثير، في مدارس العاصمة فاتحة قيو، زينب بوعامر، حرمة الفاضلة.

للعلم دون عمل، والتنظير من غير تطبيق؛ لأن المشروع الإصلاحي نواته الأولى عمل المرأة للمساعدة في النهوض بالأمة ونشر الوعي الاجتماعي في الأوساط النسوية، واستغلال كل المناسبات والأماكن التي تجتمع فيها النساء؛ الأفراح، الأتراح، التجمعات، الحمامات، وكل ما من شأنه أن يغذي هذا الوعي (البصائر، البصائر، 1955، صفحة 267). أكدت بدورها "باية خليفة" على قيمة المرأة في المجتمع ومكانتها في بناء الحضارة، كونها المدرسة الأولى التي تربي الحس الوطني، ومن ينكر أن لها نصيب من الحرية والثقافة يكون جاحدا لمدينته وتاريخه وحضارته الإسلامية. فقوم نهضة المجتمع المرأة، وفاعلية نهضتها تعليمها، الذي يعتبر أكسير الحياة (البصائر، البصائر، 1954، صفحة 222).

بينما حصرت "ليلى بن ذياب" (حباطي، ليلى بن ذياب، 2024، الصفحات 402-413) التي كانت لها حصة معتبرة من الكتابات في جريدة البصائر، مقارنة مع قريناتها ممن سخرن أقلامهن للكتابة، وهي بنت الأديب المصلح أحمد بن ذياب، النهضة على الصعيد الاجتماعي والفكري، بغرس الفضيلة في النفوس، وقلع جذور الرذيلة، وانتقاد الدين ومحاربة الأمية والجهل ومناصرة الحق (ذياب، 1951، صفحة 231)، لكنها في نفس الوقت ضيق من انفتاح المرأة، بأن قدمت دورها في البيت بين أسرته وأبنائها وأعطته الأولوية على عملها الخارجي، واستثنت من الأعمال التي يمكنها ممارستها، تلك التي تتلاءم مع طبيعتها الأنثوية، وتحفظ لها عفافها وكرامتها، كالتعليم والتطبيب والصحافة والكتابة، وليس بين آلات المصانع وأدوات الفلاحة (ذياب، اخترت لكم، 1951، صفحة 212). (ذياب، اخترت لكم، 1951، صفحة 216). وبذلك فإن المساواة في منظور المصلحات لا يتجاوز حدود الشريعة والأعراف التي ضبطها المجتمع، ولم تثر على هذا الواقع الهادئ الذي حافظ حتى النصف الأول من القرن العشرين للمرأة على مكانتها دون إفراط ولا تفريط، فلم ترض بظلام الجهل، وفي نفس الوقت لم تكن مع الانفتاح والحرية المطلقة دون قيود الدين.

تصدت النخبة النسوية الإصلاحية لمسألة الذوبان في الغرب، وبصفة خاصة بالنسبة للمسلمات الجزائريات وإغرائهن باسم العصرية والانفتاح. كتبت "فتيحة كاهية" رئيس جمعية نهضة المرأة المسلمة مخاطبة خريجات المدرسة الفرنسية ودعواتهم

التحررية، بأن المدنية ليست في الثوب الحرير، ولا القبة أو في المأكّل والمشرب، ولكنها في الآداب والتربية والأخلاق، "فلا يغرنك الحضارة الغربية ببريقها، فقد ادعى موسيلي أن حامّي الإسلام وجاءت أعماله خلاف ذلك. لذلك فإن الإسلام يحي بعلمائه وأهله"، كما انتقدت المتعلّقات اللواتي تلقين دروسهن في المدارس الفرنسية، بأنهن جاهلات لحقيقة إسلامهن؛ لأنّ تقدم في حدود الشرع والدين (البصائر، 1948).

وجهت البصائر نقدا حادا لانقياد نساء المجتمع وراء تقليد الأوربيات في اللباس والزينة، واعتباره تمدنا ورقيا بتبرجهن وخلع حجابهن الذي يشكل خطرا حقيقيا حسب الجريدة وأن التقليد يلغي تاريخهن الحافل بأمجاد النساء العربيات التي كانت لهن بصمة في البشرية (1954، صفحة 172). والذي يشكل خطرا على الهوية والانتماء العربي الإسلامي. في تنفيذ وجاء في سياق ما نقله وفد صحافي كان قد زار الجزائر، لاحظ أن العنصر الأوربي أكثر من (الأهالي) الجزائريين لتأثرهم بالأوربيين في لباسهن (1954، صفحة 86). وخطاب النهضوي ثوري رافض للاندماج والانصهار في فرنسا، قريب عهد من الثورة التحريرية التي أكدت هذا الرفض.

بناء على ذلك؛ فإن الفكر النهضوي النسوي الإصلاحي، الذي كانت البصائر أحد نماذجه، لا يختلف في مضمونه وقيمه الدينية والحضارية عن النخبة الإصلاحية، فقد قيدت النهضة في التعليم وخوض غمار العلم الذي يوسع الأفق، يجعل من المرأة عنصرا فعالا في المجتمع، ويساهم في بناء الوطن. إلا أن خطابهم عن انفتاح المرأة كان مصحوبا بمحترزات، تقوم على عدم تجاوز أحكام الدين والأخلاق. وجاء هذا الخطاب بسيطا في طرحه، جعل من صورة الماضي المضيئة نموذجا يحتذى به، رغم أن المتغيرات لم تبق على حالها، ولا المعطيات التي تعيشها المرأة في ظل وضعية استعمارية. لكن في نفس الوقت إذا قيمنا النشاط النسوي في النصف الأول من القرن العشرين، فإنه أعطى دفعا كبيرا لقضية المرأة التي طُمست كل حقوقها في قرون التراجع الإسلامي. والسؤال المطروح صدى الخطاب النهضوي الإصلاحي عموما والنسوي في المجتمع؟

استطاعت الجمعية بفضل مشروعها النهضوي أن تساهم في محاربة الجهل والأمية، ونالت المرأة حظها من مقاعدها في مدارسها، حيث بلغ عدد الإناث فيها سنة

1951 (5696)، وتضاعف هذا العدد إلى 13 ألف بنت سنة 1953، وهي أعداد ضخمة نظرا للظروف الاجتماعية والنفسية والمادية التي كانت تعرفها الجزائر حينها. (الإبراهيمي، 1997، الصفحات 21-22). كما سطعت أسماء نسوية قادت الحركة الأدبية والتعليمية في الجزائر، استمر عطاؤهن حتى بعد الاستقلال، و لعبن دورا في تنشيط الحياة الاجتماعية والثقافية، والعمل التوعوي بتأسيس الجمعيات، وتعليم النساء الريفيات الحرف؛ مثل التطريز والخياطة والنسيج.

خاتمة:

في الأخير نخلص إلى مجموعة من النتائج نحصرها في النقاط الآتي ذكرها:

- أن مسألة المرأة، من القضايا الشائكة في فكر النخبة الجزائرية، كانت مجالا لسجالاتهم رغم تقاطعهم حول اعتبارها جزءا من عملية البناء، وبعث الأمة من سباتها، فلا يمكنها أن تنهض من كبوتها إلا بجناحها. وتطورها لمسيرة عصرها، الذي نالت فيه مثيلاتها من الغربيات وحتى المشرقيات بعضا من حقوقهن. وقد اتفق الخطابان الإصلاحي والاندماجي عبر منبريهما البصائر وصوت المستضعفين على إعلان الثورة على الأعراف البالية، والمعتقدات الخاطئة التي جعلت المرأة تعيش غربتين؛ غربة الجهل وغربة السجن في البيت.

- الكتابة النسوية النهضوية النخبوية هي امتداد للكتابات المشرقية والغربية؛ إذ ساربت النساء الجزائريات الحركة العربية والعالمية منذ النصف الأول من القرن العشرين.

- كان الخطاب النهضوي عملا شاقا وبناء مرهقا؛ لأنه القاعدة التي أسست عليها كل النخبة مطلبيتها الاجتماعية.

- اتسم الطرح الاندماجي في معالجة قضية المرأة، بطرح هجين على المجتمع ومعتقداته وأعرافه، فكان يرنو إلى سلخ المرأة الجزائرية عن انتمائها الحضاري وهويتها العربية الإسلامية بجعلها نسخة تحاكي الأوروبيات والتركيات. بينما كان الخطاب النسوي الإصلاحي متشبث بالماضي الحضاري، بقيمه الدينية وأبعاده الإسلامية والعربية.

- الخطاب النهضوي للنخبة المفرنسة حول المرأة والقضايا الأسرية في عمومها، كمن يغرد خارج السرب، لم يلق الاستجابة المطلوبة. ورغم خطورة طرحها على الأسرة والمجتمع، إلا أن العزاء الأكبر في هذه المرحلة هو قلة أصواتهم. وجهود الحركة الإصلاحية في مواجهه هذا الخطاب، أين كان للمصلحين دورا هاما في إحياء حياة المرأة ودمجها في الحياة العصرية دون خدش خصوصياتها العربية الإسلامية. ووجدت المرأة بدورها في الخطاب الإصلاحي ما يتوافق مع طبيعة المجتمع الجزائري، إلا أنه جاء متناقضا فيما بينه حول انفتاحها خارج مجال التعليم.

- فشل الخطاب الاندماجي في جذب المرأة الجزائرية وتوجيهها ايدولوجيا للتعايش مع الواقع الاستعماري، بعزوفها على التكيف مع المشاريع الإدماجية الفرنسية التي جعلتها النخبة المفرنسة وطننا فكريا لها. وقد عرفت النخبة في حد ذاتها انفصاما بين الجمود في فهم النصوص، وتعلقها بفرنسا التي جعلت منها وطننا روحيا أفقدتها الصفة الجماهيرية ، وظلت بعيدة عن مطالب المجتمع.

قائمة المراجع:

- أحمد توفيق المدني. (1963). كتاب الجزائر . البليدة: دار المعارف.
- أحمد بن مصطفى بن خوجة. (2012). أعمال محمد بن مصطفى بن خوجة(1283-1333/1865-1915)، منشورات خمسينية جامعة الجزائر. الجزائر: منشورات خمسينية جامعة الجزائر.
- أحمد القصاب. (1986). تاريخ تونس المعاصرة (1881-1956) (الإصدار 1). (حمادي الساحلي، المترجمون) تونس: الشركة التونسية للتوزيع.
- الإصلاح. (28 أكتوبر، 1929). الإصلاح (8)، صفحة 1.
- البشير الإبراهيمي. (1997). أثار البشير الإبراهيمي (المجلد 4). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- البصائر. (19 جانفي، 1948). البصائر (20).
- البصائر. (29 أكتوبر، 1949). البصائر (31).

- البصائر. (28 جوان، 1954). البصائر ، 11 (276).
- البصائر. (25 جوان، 1954). البصائر ، 11 (276).
- البصائر (30 سبتمبر، 1954). (281).
- البصائر. (24 ديسمبر، 1954). البصائر ، 11 (289).
- البصائر. (28 جوان، 1955). البصائر ، 11 (303).
- تركي رابح عمامرة. (2013). الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية في الجزائر المعاصرة، (الإصدار 2). الجزائر: موفم.
- زهير بن علي. (2014). قضايا المرأة ضمن اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1925-1954 (مذكرة ماجستير). كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، باتنة: الحاج لخضر.
- الشهاب. (نوفمبر، 1929). الشهاب ، 5 (10).
- الشهاب. (ديسمبر، 1930). الشهاب ، 6 (11).
- الطاهر الحداد. (2010). امرأتنا في الشريعة والمجتمع. الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية.
- عايدة حباطي. (2022). جريدة لافوا دي هومبل والقضايا السياسية والدينية (1922-1939). قسنطينة: ألفا دوك للنشر والتوزيع.
- عايدة حباطي. (2024 ديسمبر، 2024). ليلى بن ذياب. المجلة التاريخية الجزائرية ، 8 (3).
- علال الفاسي. (د.ت). كتاب الحرية، . اللجنة الثقافية.
- علي مراد. (2007). الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي. (محمد يحياتن، المترجمون) الجزائر: دار الحكمة.

- فرحات عباس. (2007). الشاب الجزائري. (أحمد منور، المترجمون) الجزائر: وزارة الثقافة.
- ليلي بن ذياب. (2 جويلية، 1951). اخترت لكم. البصائر ، 8 (161).
- ليلي بن ذياب. (23 جويلية، 1951). اخترت لكم. البصائر ، 8 (164).
- ليلي بن ذياب. (16 جويلية، 1951). اخترت لكم. البصائر ، 8 (163).
- محمد ناصر. (1978). المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها وأعلامها من 1903 إلى 1931. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- النجاح. (16-15-14 نوفمبر، 1930).
- يحي بوعزيز. (1948). الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر. مجلة الثقافة ، 84.
- يحي بوعزيز. (2001). المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر.
- cad, H. C. (1926). Terre d'Islam . Oran: Imprimerie Heintz frères.
- général, g. (1933). Annuaire statistique de l'Algérie.
- Générale, G. (1919-1939). Situation générale de l'Algérie in Annuaire général . Alger.
- Hamet, I. (1906). Les musulmans français du nord de l'Afrique. Paris: Librairie Armand Colin.
- la Voix des humbles .(1928) .
- la Voix des humbles.(1929) .
- la Voix des humbles.(161) .(1935) .

- la Voix des humbles.(170) (1936) .
- la Voix des humbles .(1936) .
- la Voix des humbles.(1936) .
- la Voix des humbles.(1936) .
- la Voix des humbles.(172) .(1936) .
- la Voix des humbles.،.(168) .(1936) .
- la Voix des humbles.،.(164) .(1936) .
- la Voix des humbles.181-182 .(1937) .